د. هالة اسبانيولي*

الأيديولوجية الصهيونية وانعكاسها في كتب التدريس العبرية

نتحدث في هذه المقالة عن «الايديولوجية الصهيونية وانعكاسها في كتب التدريس». ومن هذا المنطلق، نقوم في هذه الورقة، بتقديم استعراض لمضمون ومحتوى فلسفة التربية والتعليم الاسرائيلية، واهدافها الرسمية والحكومية وجعلها اداة في خدمة الايديولوجية الصهيونية. لا تطمح هذه الورقة الى تقديم بحث علمي منهجي، وانما هي محاولة لتحليل اهداف التعليم الرسمية، وربطها مع المناهج التعليمية من خلال التطرق الى بعض الابحاث التي اجريت في هذا المجال.

لقد صيغت اهداف التعليم الرسمية للحكومة الاسرائيلية، وشرّعت عن طريق قانون التعليم (١٩٥٣) وتنص على ما يلي: «يهدف التعليم الرسمي في الدولة الى ارساء التربية على قيم الحضارة الاسرائيلية وعلى الانجازات العلمية، على محبة الوطن والاخلاص للدولة ولشعب اسرائيل، على الايمان بالزراعة والعمل، والوعي لذاكرة الكارثة والبطولة، وعلى التأهيل الطلائعي، والسعي لمجتمع مبني على الحرية، المساواة، التسامح، التعاون المتبادل ومحبة الشعوب».

الاهداف الرسمية للتعليم في اسرائيل لم تتحدث عن الاهداف الفردية/ الشخصية، التي تهدف الى تربية المواطن كفرد واع، مبادر ومستقل، والى تطوير طاقاته التفكيرية والانسانية وتنمية احترام كرامة الانسان لديه. كما انها لم تهدف الى تربية المواطن كعضو في مجتمع ديموقراطي، يرمي الى التعامل مع الآخرين بنجاح ويساعد الفرد على حل مشكلاته الشخصية والاجتماعية وتحقيق الديموقراطية. لقد ذكر الهدف الاجتماعي بشكل ثانوي عندما قيل: السعي لمجتمع مبني على مبادىء الحرية والعدالة. كما وان البعد الانساني والتربية على القيم الانسانية العامة لم يردا ضمن هذه الاهداف.

اهتمت هذه الاهداف بالتوجه العلمي الذي يسعى الى اعداد مواطنين يؤمنون بالعلم والتكنولوجيا وتمكن الطالب من الاستفادة من ثمرات وانجازات التقدم العلمي والتكنولوجي. ولكن التركيز هنا على الانجازات

* باحثة من الناصرة ورئيسة سابقة للجنة متابعة التعليم العربي.

العلمية للشعب الاسرائيلي، ومن منطلق تفوق هذا الشعب وكما سنرى لاحقا، لم يذكر هذا البند بالنسبة لاهداف التعليم للعرب.

الامر البارز في هذه الاهداف والذي احتل مكان الصدارة هو الاهداف الايديولوجية القومية والوطنية: لقد برز الهدف الايديولوجي الرئيسي الذي يسعى الى تنشئة مواطنين يؤمنون بالمبادىء والقيم والافكار الصهيونية. وركزت هذه الاهداف على البعدين الوطني والقومي بهدف تربية مواطنين (اليهود منهم فقط) يحبون اوطانهم ويعتزون بقوميتهم, بتراثهم، بحضاراتهم، بلغتهم وبالقيم الصهيونية. بينما سعت هذه الاهداف الى طمس هوية العربي وانتمائه من جهة، ومحاولة لأسرلته من جهة اخرى.

من الواضح ان هذه الاهداف تجاهلت وجود العرب في هذه البلاد، ووضعت لتخدم مصلحة الدولة فقط ولخدمة الهوية الجمعية لليهود، وليس هنالك اي ذكر للهوية القومية للعرب، او حتى لوجودهم. كما انه ليس هنالك اية محاولة لتعريف اليهود على العرب وانما الاتجاه معاكس. ولقد فرضت هذه الاهداف على جميع مدارس البلاد العبرية والعربية.

بعد ضغوطات عديدة من المجتمع العربي الفلسطيني في اسرائيل, كانت هناك محاولة لتغيير هذا الوضع، فقامت لجان رسمية للعمل على وضع اهداف تخص التعليم للعرب، برز منها لجنة (بيلد ١٩٧٥) وقد أجرت تعديلا بسيطا على النص اعلاه, الا ان هذه الصياغة لم تشرع قانونيا، رغم انها صيغت ايضا لمصلحة الدولة والشعب اليهودي. وفي مقارنة بين الصيغتين نجد ما يلي:

التعليم الرسمي

يهدف التعليم الرسمي الى ارساء التربية على قيم الحضارة الاسرائيلية وعلى الانجازات العلمية وعلى السعي للسلام بين دولة اسرائيل وجاراتها على محبة الوطن والاخلاص للدولة ولشعب اسرائيل، على الايمان بالزراعة والعمل، على الوعي لذاكرة الكارثة والبطولة، على التأهيل الطلائعي وعلى السعي لمجتمع مبني على الحرية، المساواة، التسامح، التعاون المتبادل، ومحبة الشعوب.

التعليم «للعرب»

يهدف التعليم الرسمي «للعرب» الى ارساء التربية على قيم الحضارة العربية، على محبة الوطن المشترك لجميع مواطني الدولة، الاخلاص لدولة اسرائيل مع التشديد على المصالح المشتركة لجميع مواطني الدولة ورعاية ما يميز «عرب اسرائيل» وعلى السعي لمجتمع مبني على الحرية، المساواة، التسامح، التعاون المتبادل ومحبة الشعوب.

في هذه المقارنة نرى انه حتى العام ١٩٧٥ لم يكن هنالك اي ذكر لوجود العرب في الدولة، وحتى بعد ان وضعت أهداف تعليم للعرب، هدفت ايضا لأسرلة العربي. فالطالب العربي من المهم ان يسعى للسلام، بينما لم يذكر هذا الهدف بالنسبة للطالب اليهودي, والوطن هو مشترك بالنسبة للعربي وهو وطن مطلق بالنسبة لليهودي، وعلى العربي مراعاة المصالح المشتركة لجميع مواطني الدولة بينما في اهداف التعليم العبري لا يوجد اي ذكر لوجود مواطنين آخرين شركاء في هذا الوطن. ورغم كل ذلك فان هذه الاهداف لم تدخل حيز التنفيذ وبقي الطلاب العرب يتعلمون عن تاريخ اليهود وعن ذكرى الكارثة والبطولة وعن امجاد الشعب اليهودي ولم يتعلموا اي شيء يذكر عن تاريخ الشعب الفلسطيني، اذ لا وجود لذكر كلمة فلسطين في كتب التاريخ حتى يومنا هذا(١).

هذا بالنسبة للاهداف العامة للتعليم. اما الاهداف الخاصة لتعليم التاريخ (١٩٥٤) فقد حددت كما يلي: » تعليم التاريخ يجب ان يزرع في الطالب حب دولة اسرائيل والرغبة للعمل من اجلها والحفاظ على كيانها« وفي البرنامج المكمل للمدارس الثانوية جاء ما يلي: «الهدف من تعليم التاريخ هو تجذير الاعتراف القومي في قلب الطالب، تعزيز الشعور لديه بالمصير اليهودي المشترك، وان تغرس في قلبه محبة الشعب اليهودي». وفي الاهداف التي كتبت فيما بعد لتعليم التاريخ (١٩٧٥) جاء ما يلي: «تقوية شعور التماثل مع الشعب، الدولة والبلاد».

لقد كتب في اهداف برنامج التاريخ لعام ١٩٧٧ ما يلي:« من الضروري ان نعطي للطالب ضوءا تاريخيا وعقائديا عن الصراع اليهودي–العربي، وتعميق شعور الطالب بعدل صراع الشعب اليهودي على تجديد وجوده القومي في البلاد، علينا ان نعرض الخلفية لهذا الصراع بين الشعب اليهودي العائد لوطنه التاريخي، وبين عرب البلاد والدول العربية، ان نعرض الادعاءات المختلفة العقائدية والسياسية لطرفي النزاع، والاقتراحات المختلفة للحل« .

اما اهداف تعليم المدنيات فتنص على ما يلي:« تعزيز العلاقة والترابط بين الطالب ودولته وشعبه.

هذه الروح ظهرت ليس فقط في الكتب التدريسية، انما في كل تصريح لوزير المعارف، فقد صرحت الوزيرة ليمور ليفنات حين استلامها الوزارة بانه من الضروري التربية على القيم الصهيونية وتجذير الروح القومية لا بل القومجية (Patriot) لدى ابناء الشبيبة. كما وصرح بذلك العديد من الوزراء السابقين امثال يتسحاق ليفي، زبولون هامر وآخرون. وفي تصريح لوزير المعارف اهارون يادلين العام ١٩٧٢ قال: » يجب ان تقوي لدى الطلاب القدرة على عيش مصير الشعب المختار، المحاط بمن يهددون كيانه ودولته، ومسألة البقاء Survaival هي المسألة الرئيسية التي تشغله« .

١٩٥٣ حملة محمو الأمية بين اليهود. «الأمية» في نظر السلطة آنذاك عدم معرفة اللغة العبرية. صف لتعليم اللغة للكبار.

بهذا نرى ان اهداف التعليم في اسرائيل كانت وما زالت أمام تحد متواصل للسيطرة على العرب ودفعهم في اتجاه العدمية القومية والحضارية من جهة، ولغرس القيم الايديولوجية الصهيونية في نفوس الطلبة العرب واليهود على حد سواء. ومما لا شك فيه فان كتب التدريس ومضامينها هي انعكاس لهذه الاهداف. ولقد اعتمدت بغالبيتها على الهستوريوغرافيا الصهيونية، ولم تأت من فراغ.

تعتبر الكتب التدريسية مركباً مهماً في تحديد التاريخ الاجتماعي لأي شعب من الشعوب، فعن طريقها تنقل الرسائل المهمة والضرورية التي يريد المجتمع ان يحافظ عليها وينقلها من جيل الى جيل. كما وتعتبر وسيلة من وسائل التنشئة الاجتماعية والحضارية، والتي يتم خلالها تذويت القيم والمعايير الاجتماعية، وتشكل مواقف الطالب السياسية ووجهات نظره.

لكتب التاريخ اهمية خاصة في هذا المضمار، لأن الطالب يتقبل المؤرخين كأناس موضوعيين ينقلون الحقائق التاريخية ويتعامل مع مادة التاريخ كحقائق مطلقة. وبما ان كتب التاريخ تشكل مواقف الطالب الاساسية وهويته القومية، فهي تستعمل لنقل القيم القومية والرسائل الايديولوجية. وهي ركيزة للذاكرة الجماعية ولكل الاسئلة المتعلقة بالهوية والقومية, ولذلك جاءت كتب التدريس في المدارس الاسرائيلية بعيدة عن الوقائع والحقائق الاساسية واستعملت لخلق الولاء المنشود لدولة اسرائيل وللشعب اليهودي. وليس عجبا ان تكون باكورة اعمال الوزيرة الجديدة لوزارة المعارف – ليمور ليفنات – الغاء احد كتب التاريخ من المنهاج التعليمي, وذلك لانها لا تتماشى مع ايديولوجيتها بشكل مطلق.

لقد اعتبرت الوزيرة ليفنات كتاب »عالم من التبدلات« لمعده داني يعقوبي والصادر العام ١٩٩٩ بانه يحتوي على مضامين ما بعد صهيونية ويشمل نواقص خطيرة فيما يتعلق بتاريخ شعب اسرائيل، ولا توجد فيه صورة كافية للزعماء اليهود والصهاينة، ولذلك قررت الغاءه من كتب التدريس المقررة.

توضح الابحاث ان الكتب الرسمية شكلت اداة مركزية بأيدي المؤسسة الصهيونية في تكوين وتشكيل الذاكرة الجماعية للأمة اليهودية، ومنح الشرعية للنظام القائم، وتشير الابحاث الى وجود مغالطات وتجاهل بالنسبة لتدريس تاريخ العرب وحضارتهم.

لقد كانت لدى السلطات حاجة في ايجاد طرائق لبلورة الذاكرة الجماعية الموحدة، وقد تمّ ذلك عن طريق التلاعب بأجزاء من الماضي القومي، وطمس أجزاء معينة منه، واختيار اجزاء اخرى بطريقة وظيفية بحتة. وبالتالي توفير ذاكرة زائفة ومبتكرة من الماضي كوسيلة لخلق الانتماء والشعور بالهوية القومية وبعدالة القضية الصهيونية.

يظهر الصحافي الاسرائيلي توم سيغف في كتابه «المليون السابع» ان الحكومة الاسرائيلية استعملت الكارثة اليهودية عمدا كوسيلة لتوحيد الهوية الاسرائيلية».

يقول ايلي فودة في بحثه عن تأثير النزاع العربي الاسرائيلي على المناهج الدراسية: «إن المهمة الاساسية التي كانت امام الدولة هي تشكيل وتكوين الذاكرة الجماعية للامة. وقد جُنّد جهاز التربية والتعليم لهذه المهمة والقيت عليه مهمة انتقاء المواد التي على الطالب ان يتعلمها، وتصفية كل ما يجب ان يمحى من الذاكرة. فقد تمّ تعليم التاريخ من خلال «العدسة القومية»، واستعملت الهستوريوغرافيا الصهيونية- عن وعي او عن غير وعي- في ايدي السلطة لتبرهن مدى صدق وعدالة الصهيونية في نزاعها ضد الحركة القومية العربية»(٢).

وبهذا فان تزييف الحقائق في كتب التاريخ، الجغرافيا، والمدنيات، كان أداة مركزية استعملها الصهيونيون من اجل تشكيل الذاكرة الجماعية للشعب اليهودي. ومن اجل اعطاء الشرعية لوجودهم وتشكيل حكاية تاريخية موحّدة بالنسبة للصراع العربي اليهودي. فعممت هذه الرواية في جميع كتب التدريس وحتى كتب التدريس، في المدارس العربية، وما زاد من حدّة الصراع.

فالصراع هو ليس على الواقع، وإنما على الحكاية The narrative فالرواية الصهيونية تستخدم التاريخ وتزيّف الحقائق لتبرير وجودهم ومحو الوجود الفلسطيني، ولتأكيد «حقهم التاريخي» على ارض فلسطين، فهم شعب الله المختار وعليهم ان يتواجدوا في ارض الميعاد.

وتمشيا مع اصرارهم على جعل المكان متجانسا مع روايتهم، جاءت اسطورة الارض القاحلة التي استوطنها اليهود واستثمروها وجففوا مستنقعاتها وبنوا فيها البيوت الجميلة، وهذا ما زال الطلاب يتعلمونه حتى اليوم (كتب بابوريش للجغرافيا). وهو ما يساعد على تثبيت التفكير الصهيوني بان ارض فلسطين هي ارض صهيون، ولهم وحدهم الحق التاريخي على هذه الارض. ويعطي للطالب الاسرائيلي احساسا عميقا للارتباط بـ «وطنه» والتمسك به بعد مئات السنين من «الشتات» و حياة «الغربة» في «الغيتو».

وفي هذا يقول امنون حيفر في كتابه : «مواضيع مركزية في تاريخ الشعب والدولة ابان العصور الاخيرة» ما يلي: «ان كل الاقوال بخصوص الحقوق التاريخية، التي يدور عليها النقاش بيننا وبين العرب، ما هي الا تزييف للحقيقة، وناجمة عن قلة الفهم وشحة المعرفة والدراية بتاريخ الاستيطان اليهودي في ارض اسرائيل ... الحقيقة هي انه عندما اتينا الى هنا في العصر الراهن، لم نلق اي شعب، وبشكل اكيد لم نلق شعبا أقام مئات السنين» . ويستطرد حيفر في كتابه المذكور ليصل الى النتيجة: «لم يقم العرب في ارض اسرائيل البتة، ولم ينشئوا البتة حكما محليا، ولم يبنوا ثقافة او لغة او قومية متميزة»(٣).

يذكر ايلي فودة في بحثه عن مناهج التدريس في المدارس العبرية أن الهدف الاساسي لكتب التدريس كان خلق الارتباط التاريخي بين المشروع الصهيوني والاستيطان اليهودي في ارض اسرائيل، والغاء وجود الاستيطان العربي(٤)، وتواردت اسطورة الارض الخاوية في العديد من كتب التدريس. واتسم التعامل مع شخصية العربي الفلسطيني بالتجاهل والانكار والتغييب. وبهذا تعزيز لهدف وزارة المعارف بتثبيت حق اليهود على ارض اسرائيل، ودحض الحق العربي.

وفي وصف الهجرة الاولى في كتب التاريخ والجغرافيا، كان هناك تجاهل تام لوجود العرب. فاليهود وصلوا الى ارض قاحلة، خربة ولا يسكنها شعب. وفي هذا تعزيز للمقولة الصهيونية: «ارض بلا شعب لشعب بلا ارض».

في كتاب «تاريخ الشعب اليهودي» يقول مؤلفاه «أحياه وهاربز:» «عرف اليهود انهم سيهاجرون الى ارض فارغة وقاحلة، وان السلطات تضايق اليهود وتقيّد خطواتهم، وانهم محاطون بشعب وحشي يعيش على النشل واللصوصية»(٥)

في كتاب: » تاريخ شعبنا في الزمن الجديد« يقول شموئيلي: »بينما وجد المهاجرون الى الولايات المتحدة ارضا مزدهرة، فان المهاجرين الى ارض اسرائيل وصلوا الى بلاد خالية وخاوية« .

في كتب اخرى ذكر العرب كمجموعة من الرعاة واللصوص، بينما ذكر اليهود كأبطال ومناضلين.

في كتاب «بداية الصهيونية» صوروا اليهود كمناضلين من اجل البقاء، يتعرضون للسرقة والنشل من قبل العرب. كما ووصف اليهود بانهم حكماء، مبدعون، كتاب، بينما لم ينتج العرب اي انتاج.

وفي الحديث عن الهجرة الثانية، تطرقت الكتب الى وجود العربي بشكل هامشي، واظهرت اليهودي كعامل يهتم في بناء البلاد. فلقد هدف المشروع الصهيوني الى تعزيز قيمة العمل الطلائعي في بناء الدولة. وهنا ايضا صور العربي كانسان غير مثقف، ليس لديه حاجات تربوية او حضارية او ثقافية، ولهذا كان العامل العربي يكتفي بالقروش التي تعطى له.

لم تتطرق الكتب التدريسية الى قضية سلب الارض من اصحابها العرب، الى قضية مصادرة الاراضي وتحويلها الى املاك دولة. لا بل ونشرت وزارة المعارف مادة لدحض ادعاء سلب الارض العربية. هذا على الرغم من ان سياسة الاستيطان والتوسع الصهيوني، حرمت الشعب العربي الفلسطيني من حقوقه القومية الاساسية، وفي الاساس من حقه في وطنه واقامة دولته المستقلة. وقد كان من أهم مقومات الحلم الصهيوني، ان يصدقوا انهم وصلوا الى ارض بلا شعب، لذلك مارسوا سياسة الطرد والتهجير والمصادرة.

اما عن المذابح والجرائم التي ارتكبت في حق الفلسطينين وعن نكبة هذا الشعب ، فلم تتطرق كتب التدريس لا من بعيد ولا من قريب الى ذلك. وفي كتاب حديث لتدريس التاريخ، اعتبر راديكاليا نوعا ما، ذكرت بسطور مجزرة كفر قاسم. فالعرب لم يُهجّروا، واذا ذكروا فهم هربوا أو رحلوا، ولم ترتكب المجازر لترحيلهم، ولم يطرد اهالي العشرات من القرى العربية، ولم تهدم ٤١٧ قرية عربية تم الاستيلاء على اراضيها. وفي هذا يقول حيفر في كتابه المذكور اعلاه: «ان مقولة: اللاجئون العرب هم شعب جرى تشريده عن ارضه، كاذبة. الحقيقة هي ان العرب اختاروا ان يهاجروا من بلاد ذات اكثرية يهودية حتى يعيشوا بين الشعوب العربية».

مركب آخر من التجاهل والانتقائية، برز في الحديث عن اقامة المستوطنات الجديدة، حيث تجاهل المؤلفون وجود عرب في البلاد، حتى في الخرائط فقد ذكرت فقط المناطق اليهودية ولم تذكر مناطق عربية.

انعكس تجاهل العربي ايضا في الخرائط الموجودة في الكتب التدريسية ، ففي خرائط «أرض اسرائيل» الواردة في كتب المواطن والجغرافيا، تتوزع الاراضي حسب المفتاح التالي: ملكية يهودية، ملكية حكومية، ملكية اخرى. بالطبع لا وجود لملكية عربية، وبعد حرب ١٩٦٧ شملت بعض الخرائط حدود ارض اسرائيل الكاملة.

في العام ١٩٨٧ ادخل لكتب التاريخ موضوع الصراع، ولكن من وجهة نظر الحركة الصهيونية. ورغم ظهور المؤرخين الجدد في هذه الفترة والذين دحضوا الرواية الصهيونية للنزاع(٦)، الا انه حتى يومنا هذا لم توافق وزارة المعارف على تدريس اي كتاب يتبع للمؤرخين الجدد، وما زال الصراع العربي اليهودي يدرس من خلال كتب تاريخ الشعب الاسرائيلي والصهيونية. حتى بعد ان كتبت كتب خاصة لتدريس الصراع، فقد كتبت ايضا بشكل عدائي للعرب وبمحاولة لابراز الحق اليهودي في الصراع على نيل استقلاله القومي والحفاظ على وجوده، والتأكيد على الظلم الواقع عليهم من قبل العرب. ورغم هذا فقد قامت العديد من الاصوات بعد حرب ١٩٧٣ التي اتهمت الوزارة بانها لا تربي على القيم الصهيونية, ونادت بتعميق ذلك.

ومن يعتقد ان تغييرا جديا حدث على كتب التدريس بعد اتفاقية اوسلو، تكون خيبة الامل من نصيبه. ففي بحث اجراه بروفيسور داني بار–طال على كتب التعليم التي كتبت بعد اوسلو في سنوات الـ ٩٥–٩٦، ووجد ان التغييرات التي حصلت على المناهج لم تكن اكثر من تغييرات تجميلية Cosmatices . فقد قام بتحليل ١٢٤ كتابا في اللغة، الادب العبري، التاريخ، الجغرافيا والمدنيات المقررة للتدريس بعد عام ١٩٩٤، ووجد بان غالبية هذه الكتب تشدد على بطولة الشعب اليهودي, تبرزه بشكل فوقي، فهو صاحب قضية عادلة يحارب من أجلها ضد عدو عربي يرفض الاعتراف بوجود الشعب اليهودي في اسرائيل . كما وان الحديث عن اليهودي يتم بواسطة جميع الاوصاف الايجابية، فهو صاحب اخلاق، مبشر للتطور والازدهار، بينما يذكر العربي دائما حسب الافكار النمطية السلبية، والتعامل معه من خلال الغاء شرعيته والغاء انسانيته(٧).

وفي عودة الى الانتقادات التي وجهت الى كتاب »عالم من التبدلات« الذي اصدرت الوزيرة ليفنات قرارها بالغائه، يقول د. يورام حزوني، في كتابه: «الدولة اليهودية: الصراع على الروح الاسرائيلية»، بأنه «لا يجدر بالدولة اليهودية ان تقرر تدريس كتاب تاريخ يفارق بصورة متطرفة الخطوط العامة للهستوريوغرافية الصهيونية التي كانت متبعة ومعتمدة في كتب التدريس في اسرائيل حتى الآن. ويورد بعض الامثلة على ذلك: لا يرد في الكتاب ادنى ذكر لحاييم فايتسمان خلال فترة اشغاله منصب رئيس المؤتمر الصهيوني، ويخصص جملة واحدة فقط لنشاط دافيد بن غوريون السياسي قبل اقامة الدولة. ولا يذكر تمرد غيتو وارسو أو أية اعمال مقاومة ليهود اوروبا ضد النازيين. والعمليات السرية لمنظمات «الهغناه» و«الاتسل» و«الليحي» يجري وصفها باربع كلمات فقط..... ويتابع بوصفه اصدار هذا الكتاب من جانب وزارة المعارف خليطا من الاهمال المهني والايديولوجيا الما بعد قومية»(٨).

ومن الكتب الاخرى التي دار حولها جدل عنيف في المجتمع الاسرائيلي هو كتاب : «القرن العشرون: على شفا الغد» لمؤلفه ايال نفيه والصادر ايضا في العام ١٩٩٩، وذلك لانه يقر بعض الشيء في حقائق كانت مغيبة في المناهج السابقة. هذا على الرغم من ان النظرة الفوقية والاستعلائية لليهودي على العربي، تملأ صفحات هذا الكتاب.

وللتلخيص، يمكن ان نقول بان العديد من الابحاث التي حللت مضامين كتب التاريخ، وجدت انها استعملت من اجل تمرير الاهداف القومية وعكست الايديولوجية الصهيونية. وتمتاز بغالبيتها بما يلي:

– الميل لتخليد الاساطير Myth وأنصاف الحقائق، التي لا اساس علمياً لها.

– انتقائية في اختيار المعلومات التي تعطي الشرعية فقط للشعب اليهودي.

– اختيار الاوصاف الايجابية لوصف الشعب اليهودي، والاوصاف السلبية لوصف العربي.

– تمجيد أعمى لابطال الصهيونية.

– الغاء وجود الآخر وتزييف الحقائق التاريخية.

– فوقية الشعب اليهودي مقابل دونية الآخر.

ومن جهة اخرى فإن الرواية الصهيونية الاسرائيلية، والاساطير التي نسجها الخيال الصهيوني في معركته للاستيلاء على فلسطين ومحو الوجود الفلسطيني، لم تنعكس فقط في الكتب التدريسية، انما ايضا في الادب

والفن والشعر، وفي الكتب غير المنهجية وفي تصريحات المسؤولين وجميع مرافق الحياة.

فقد وجدت الابحاث أن غالبية الكتب، وليس فقط التدريسية والرسمية منها، انما في الروايات وفي ادب الاطفال وغيرها، هنالك صورة نمطية Stereotype سلبية تجاه العربي، بينما الصورة النمطية تجاه اليهودي، ايجابية.

في بحث اجراه ادير كوهين عن صورة العربي في ادب الاطفال العبري، وانعكاسه على الفكر النمطي للاطفال، وجد ان هنالك علاقة مطلقة بين الامرين. فالاطفال اليهود لديهم افكار نمطية سلبية عن العرب، تماما كما صورت لهم في الكتب. فالعربي: مخادع، غشاش، سارق، لص، محب للمال، بشع، قذر، متوحش، جبان، جاهل، غبي، متعطش للدماء، هدفه هو القتل وسفك دماء السكان اليهود والاستيلاء على بيوتهم وممتلكاتهم في البلاد ومحو أي ذكر لهم فوق الارض(٩).

وفي هذا يقول كوهين: «ان من بين الاخطاء الرئيسية التي ارتكبتها كتب الاطفال الاسرائيلية هي التركيز على عروبة العرب وليس على انسانيتهم على اعتبار انها تمثل «القضية العربية» وفعلت ذلك في اغلب الاحيان بشكل متطرف ومشوه للحقائق».

حسب (شابير)(١٠) فإن هذه الصورة النمطية زادت الشعور بالاغتراب والتباعد بين ابناء الشعبين، وشكلت حاجزا أمام أي حوار انساني. ان تعزيز اسلوب انتزاع صفة الانسانية عن العربي مهد الطريق واعطى الشرعية لاستعمال العنف ضده.

حسب (بار–طال)(١١) فان الصور النمطية السلبية تتكون من خلال نفي انسانية الآخر، الصاق القاب ووصمات سلبية للآخر، وصف الآخر بصفات سلبية، والغاء شرعية الآخر. جميع هذه الاستعمالات موجودة في كتب التدريس الاسرائيلية.

لقد رأى مؤسسو دولة اسرائيل، وعلى رأسهم بن غوريون، بقيام الدولة اعادة للكيان الصهيوني على ارضهم، واهتموا ان يبنوا الامة ويشكلوا رواياتها وافكارها بشكل موحد. (ومن هنا جاءت ايضا سياسة «صهر الامة في بوتقة واحدة»، والتي تبنتها وزارة المعارف. وقد اثبت فشلها اليوم).

لقد حاولوا تعبئة الذاكرة الجماعية بمعلومات «شرعية» ومحوا منها كل ما لا يجب معرفته. ومن هنا فان كتب التاريخ لم تزود الطلاب بالحقائق انما بما هو متاح وضروري للرواية الصهيونية، أي بـ«الحقيقة الاسطورية».

يقول فودة في نفس المصدر بأنه: «في كتب التاريخ، الجغرافيا، الموطن، الادب والمدنيات والتناخ استعملت الرموز الاسطورية الموجودة في الذاكرة الجماعية. وبهذا يساعدون على تشكيل صورة الماضي وتذويتها بناء على الحاجات المجتمعية.»

لقد سعت الدولة ان تنقل للاجيال القيم القومية المختارة من خلال كتب التدريس.حيث يدرس طلاب المدارس العبرية والعربية كذلك، تاريخ المستوطنات وبدايات الدولة وتاريخ الكارثة عدة مرات خلال سنوات الدراسة الثانوية، ويجري الحديث حاليا عن محاولة لادخال تعليم الكارثة للمدارس العربية الابتدائية.

هكذا نرى انه في مسار بناء الامة، كان لجهاز التربية والتعليم وظيفة اساسية لنشر صورة هذه الامة وتراثها، وذلك عن طريق احياء، اعادة صياغة، ايجاد اسطورة تاريخية Historical mythology وذاكرة جماعية Collective memory.

المراجـــع :

ادير كوهين: (١٩٨٨) وجه قبيح في المرآة. انعكاس النزاع العربي اليهودي على الادب العبري للاطفال.

ايلان بابي: (١٩٩٣) «التاريخ الجديد لحرب ١٩٤٨» في مجلة النظرية والنقد– العدد ٤

ايلي فودة: (١٩٩٧) النزاع الاسرائيلي العربي في مرآة كتب تدريس التاريخ والمدنيات في العبرية.

انطون شلحت: «الفلسطيني» – انسان تعوزه الاصالة والمرجعية التاريخية والشخصية المتميزة– الاتحاد ٨, ٤, ٩٤

انطون شلحت وهشام نفاع – ليمور ليفنات وزيرة حرق الكتب – ملحق الاتحاد ٢٠٠١/٣/١٦.

بار طال داني: (١٩٩٤) صورة العربي في كتب التدريس.

بار طال داني: (١٩٩٧) تأثير عملية السلام على مضامين كتب التدريس.

١ – في العام ١٩٩٩ ادخل تعديل بسيط لصالح العرب على أهداف التعليم المنصوص عليها في قانون التعليم الرسمي. ولكن رغم المحاولات العديدة للجنة متابعة التعليم العربي بتشريع اهداف خاصة للتعليم العربي، لم يكن هناك تجاوب من أعضاء البرلمان الاسرائيلي، ومن لجنة المعارف البرلمانية.

٢ – ايلي فودة ١٩٩٧

٣ – راجع/ي مقالة بقلم انطون شلحت– الاتحاد ٨, ٤, ٩٤

٤ – ايلي فودة ١٩٩٧

٥ – ايلي فودة ١٩٩٧

٦ – ايلان بابي ١٩٩٣

٧ – بار طال ١٩٩٧

٨ – راجع/ي ملحق الاتحاد –انطون شلحت وهشام نفاع – عدد ١٦ حزيران ٢٠٠١

٩ – ادير كوهين – ١٩٨٨

١٠ – ايلي فودة ١٩٩٧

١١ – بار طال ١٩٩٤